نظريات التعليم والتعلم في التدريس الجامعي

تتعدد النظريات التي تفسر عملية التعليم والتعلم، حيث بدأ البحث فيها في بدايات القرن العشرين الميلادي وهي ما تزال قيد التطوير والتحديث والنقد.

1. النظرية السلوكية Behaviorism :

تعد النظرية السلوكية Behaviorism من أهم المدارس الفلسفية التي بحثت في التعليم والتعلم فقد ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين في الولايات المتحدة، ومن أشهر روادها العالم جون واطسون John Watson. وتُعرِّف النظرية السلوكية التعليم على أنه "اكتساب وتقوية وتدعيم العلاقة بين مؤثر ما ورد الفعل المتوقع من خلال مفهوم التعزيز والتحفيز". إذ يحدث التعليم عند وجود كمٍّ كافٍ من التعزيز والدعم، فعند تقديم التعزيزات الإيجابية Positive Reinforcement (أو المكافأة) بعد سلوك معين، يؤدي ذلك إلى تقوية وتعزيز هذا السلوك، ويرتكز التعلم وفق هذه النظرية على التكرار والجِدَّةُ Exercise and Repetitionكعنصرين أساسيين في تطوير السلوك والمحافظة عليه.

تطبيقات النظرية السلوكية:

- تقسيم المادة العلمية إلى فقرات وأجزاء صغيرة ومبسطة.
- متابعة أداء الطلاب باستمرار وتقديم التغذية الرجعية والدعم والتعزيز المناسبين.
- ربط المادة العلمية بالحياة الواقعية قدر الإمكان.
- طرح الأسئلة مع التدرج في صعوبتها.

- استخدام أنواع مختلفة من التعزيز، كالثناء والمكافأة بواسطة رفع الدرجات أو المكافآت المادية.
- متابعة تقدم الطلاب عن طريق تحسن أدائهم في الامتحانات.

2. النظرية الجشتلطية Gestalt:

في الوقت نفسه ، ظهرت المدرسة الجشطلتية Gestalt على يد ماكس فريتمر، وكورت كوفكا، وبافلوفجالجكوهلر، الذين نقدوا المدرسة السلوكية التي قامت بتجزئة السلوك إلى أجزاء متفرقة، في حين اعتبروا السلوك على أنه "كل بدل من جزء"، حيث فُسّر التعليم على أنه فهم وإدراك لبناء وتركيب المشكلة ومحاولة الوصول إلى حل ذهني بدلاً من عملية التكرار التي تعتمد عليها النظرية السابقة التي تلغي-على حد قولهم- إمكانات و قوى الإنسان وطاقاته العقلية والمعرفية و الإنسانية و الوجدانية.

تطبيقات النظرية الجشتلطية:

- تعليم الطلاب الاستفادة من تجاربهم ومعارفهم ومهاراتهم في حل المشكلات الحالية.
- إتباع الطريقة الكلية في التدريس، وذلك عن طريق إعطاء فكرة عامة عن موضوع الدرس قبل الشروع في شرح التفاصيل.
- الانتباه إلى عنصر التحفيز ومساعدة الطلاب في معرفة الهدف وراء ما يتعلمونه.
- خلق بيئة تعليمية تجمع بين الرغبة في تعلم ما هو جديد والمجازفة و مواجهة المصاعب والتغلب عليها.

3. علم النفس الإدراكي Cognitive Psychology:

ظهر بعد المدرسة الجشطلتية ظهور علم النفس الإدراكي Cognitive Psychology االذي تأثر بكلا التيارين السابقين، والذي بدا يركز على العمليات الذهنية والتحليلية Cognitive Processes بدلاً من السلوك الظاهري للإنسان. ويحث هذا العلم على كيفية اكتساب المعارف وتنميتها ذهنيّاً و المساعدة في حل المشكلات والمعضلات. وبالرغم من المساهمات التي قدمها هذا العلم في محاولة فهم العمليات الذهنية المتعددة و إثراء المحصول العلمي في هذا المجال، لم يقدم مع الأسف الكثير من الطرق التعليمية الجديدة، كما أنه ألغى دور المتعلم فأصبح عنصر غير فعّال، متلقي للعلم فقط ، وفضَل الطرق الكلاسيكية في التدريس والتلقين التي تعتمد على الكتاب كوسيلة أساسية في التدريس.

تطبيقات نظرية علم النفس الإدراكي:

- بناء قوالب المعرفة والتركيز على التنظيم والترتيب والبناء لتسهيل وصول المعلومات.
- التركيز على كيفية التذكر والاسترجاع وتخزين المعلومات في الذاكرة.
- إعطاء المتعلم دور نشط في تطوير المعلومات والقدرة على صياغة المشكلات في ذهنه والبحث عن أساليب وحلول متنوعة بدلاً من حل واحد.

4. النظرية البنائية Constructivism:

ظهرت في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، ظهرت نظرية أخرى لتجب النقص في نظرية علم النفس الإدراكي، وهي تدعى النظرية البنائية Constructivism التي جعلت من الطالب محور العملية التعليمية من خلا تفاعله مع البيئة المحيطة، حيث يمكنه بناء المعرفة والمهارات

واستيعابها بصورة نشطة وفعالة، وأصبح المعلم هنا مسهلاً Facilitator لعملية التعليم الذاتي، بدلا من الملقن المباشر للمعلومات والمعارف.

تطبيقات النظرية البنائية:

- مساعدة المتعلم على بناء مفهومه الخاص بالعالم معتمدًا بذلك على التجارب والتفاعل مع البيئة.
- مساعدة المتعلم في تضمين معارفه السابقة في السياقات المناسبة.
- إرشاد الطالب نحو تجميع المعارف من عدة مصادر لتلاءم المشكلة التي يتم دراستها.

5. النظرية البنائية الاجتماعية Socio-constructive Theory:

أما في نهاية القرن العشرين، ظهرت النظرية البنائية الاجتماعية Social-constructive Theory التي تدرس التفاعل ما بين العمليات السيكولوجية (النفسية) الخاصة بالمتعلم وبين بيئة التعلم. وبينما تعتبر النظرية البنائية التعليم أنه عملية تحدث في ذهن المتعلم بمعزل عن العالم الخارجي، تفسر هذه النظرية التعليم على أنه نتاج التفاعل النشط والسياق البيئي والثقافي بين المتعلم والبيئة المحيطة. ومن هذا التيار تنوعت الأساليب التعليمية، فأصبح لدينا التعليم الذاتي Self-directed learning، والتعليم التعاوني Cooperative learning ، والتعليم ذاتي التنظيم Self-regulated learning، والتعلم بالاكتشاف Guided discovery، والحوار المدار من قبل المدرس Teacher-mediated dialogue، والنقاش الجماعي المستقل Independent group discussion، والتعلم عن طريق حل المشاكل Problem-based learning، والتعلم عن طريق إجراء المشاريع Project-based learning، والبناء المعرفي Knowledge building.

تطبيقات النظرية البنائية الاجتماعية:

- تشجيع الطلاب على التعاون والعمل الجماعي.
- خلق بيئة غنية بالنقاش والتحاور.
- تكوين المجموعات الدراسية لتشجع الطلاب على التعلم من بعضهم البعض.
- تخصيص جزء من الدرجات لتقييم الأقران.

مع تنوع النظريات التعليمية و اختلافها الواضح، أثبتت الدراسات إمكانية مزج عدة أساليب أثناء التعليم، والذي ثبتت فعاليته في ترسيخ الأفكار وتثبيتها في ذهن المتعلم. بناء على ذلك، ما هي فلسفتك في التدريس؟

المصدر:

SchÖnwetter D. J., Sokal, L., Friesen, M., and Taylor, K. L. (2002). Teaching philosophies reconsidered: A conceptual model for the development and evaluation of teaching philosophy statements. *The International Journal for Academic Development, 7*(1), 83-97.

المراجع:

1. Vieluf S., et al. (2012), Teaching Practices and Pedagogical Innovation: Evidence from TALIS, OECD Publishing. http://dx.doi.org/10.1787/9789264123540-en

2. نظريات التعلم واستراتيجيات التدريس وتطبيقاتها.(January 28, 2011). Retrieved March 23, 2015, from http://www.acofps.com/vb/showthread.php?t=7852
3. Education Theory/Constructivism and Social Constructivism in the Classroom. (n.d.). Retrieved March 29, 2015, from http://www.ucdoer.ie/index.php/Education_Theory/Constructivism_and_Social_Constructivism_in_the_Classroom
4. بركات, ه .(n.d.). نظريات التعلم -. Retrieved March 29, 2015, from http://uqu.edu.sa/page/ar/101212
5. Harris, J. (1999). A GESTALT APPROACH TO LEARNING AND TRAINING. The British Gestalt Journal, 8(2). Retrieved March 29, 2015, from http://www.123webpages.co.uk/user/index.php?user=mgc&pn=10723
6. Behavioral Theories. (n.d.). Retrieved March 29, 2015, from http://viking.coe.uh.edu/~ichen/ebook/et-it/behavior.htm
7. Behaviorism. (n.d.). Retrieved March 29, 2015, from http://gsi.berkeley.edu/gsi-guide-contents/learning-theory-research/behaviorism/
8. علي, و. (2013). ملخصات لبعض نظريات التعلم. Retrieved March 29, 2015.